حِزبُ اللهِ يعبُرُ الحُدُود

القُصَيْر نموذجًا

Bundesamt für
Auswärtige Angelegenheiten

أمم
للتوثيق والأبحاث
Documentation & Research

حزب الله يعبر الحدود

القُصَير نموذجًا

بحث وتوثيق: **مبادرة «تاريخ سوريا الحديث»**

مراجعة: **عباس هدلا**

إشراف عام: **مونيكا بورغمان، علي منصور**

Bundesamt für
Auswärtige Angelegenheiten

أرشيف للتوثيق والأبحاث
Documentation & Research

A Cross Section of a History
The Shia Community in Lebanon

تواريخُ مُتَقاطِعَة
حِصّة الشيعة منها فِي لبنان

مـن بـاب حفـظ الذاكـرة اللبنانيـة، باشـرت أمـم للتوثيـق والأبحـاث، من بـاب فهـم الواقـع اللبناني بحالاتـه وشـجونه الآنيـة، الإبحـار فـي تاريـخ أمواجـه المتمثلـة بطوائفه، وقـراءة سـردية كل طائفة، مـن تأسيسـها إلـى مسـيرتها فـي التاريـخ الزمنـي اللبنانـي، والتمعـن فـي إنجازاتهـا وإخفاقاتهـا، رؤيتهـا، جغرافيتهـا، ديموغرافيتهـا، أيديولوجيتهـا، وتاريـخ وقائعهـا، مـن خـلال مـا تيسـر مـن مصـادر مفتوحـة، تُظهـر وجهَهـا بمختلـف تعابيـره بطريقـة متجـردة بعيدة عـن الغلـو أو التفخيم.

لعـل الدخـول فـي هـذه السـرديات يسـاهم فـي معرفـة وقائـع الأمـور ويعطـي فكـرة عـن الدوافع التـي أودَت فيمـا أودت إلـى الواقـع الحالـي، ومـن خـلال مـا سـينتج مـن هـذا المشـروع، يمكـن التعمـق بالرؤيـا التـي يمكـن السـير بهـا لبنـاء مسـتقبل جديـد لهـذا الوطـن، مبنـي علـى التعلـم والاتعـاظ مـن تجـارب الماضـي لبنـاء المسـتقبل المشـرق، ومعالجـة الواقـع الحالـي بكوارثـه ومآسـيه...

سـيرًا علـى خطـى مشـاريع أخـرى تجمـع بيـن همـوم «الماضـي» وإلحاحـات «الحاضـر»، يسـعى مشـروع «تواريـخُ مُتَقاطِعَـة - حِصّـة الشـيعة منهـا فـي لبنـان»، الـذي تنفـذه أمـم إلـى التوقـف عنـد مسـألة «تاريـخ الطوائـف» بوصفهـا شـأنًا يحكـم علـى علاقـات اللبنانييـن بعضهـم ببعـض مقـدار مـا يحكـم علـى مـا بينهـم وبيـن «آخريـن».

بيروت، ٢٠٢٣
هاتف: ٥٥٣٦٠٤ ١ ٩٦١ +
صندوق بريد: ٢٥ ـ ٥ الغبيري، بيروت ـ لبنان
www.umam-dr.org | www.memoryatwork.org

أمم للتوثيق والأبحاث
Documentation & Research

Bundesamt für Auswärtige Angelegenheiten
German Federal Foreign Office

إن الآراءَ الواردَةَ في هذهِ الكِتاب الّذي كان إنْجازُه ونَشْرُه بِدَعْمٍ مِنْ «وِزارَة الخارِجيَّة الألمانيَّة» تُعَبِّرُ، حَصْرًا، عَنْ وُجْهَة نَظَر صاحِبها، وعَلَيْه فهي لا تُلْزِمُ، بأيِّ شَكْلٍ مِنَ الأشْكالِ «وِزارَة الخارِجيَّة الألمانيَّة»، ولا تَعْكِسُ، بالضَّرورة، مُقارَبَتَها المُؤَسَّساتيَّةَ مِنَ المَوْضوع.

مبادرة «تاريخ سوريا الحديث»، هي مجموعة من الباحثين والأكاديميين والموثقين والناشطين السوريين، الساعين الى حفظ وتأريخ وتوثيق التاريخ السوري بعد إنطلاق الثورة السورية في آذار ٢٠١١، بطريقة موضوعية وعلمية ومنهجية بعيدة عن كل تأويل أو تحريف أو تزييف لهذا التاريخ معتمدين على المصادر المفتوحة والتأريخ الشفوي من خلال شهادات عايشت أو كانت جزء من الأحداث.

الفهرس

مقدمة ٧

الفصل الأول: الاستراتيجيَّة الإيرانِـيَّة في سوريا

١) الوجود العسكري الإيراني بعد ٢٠١١ ٢١

٢) التغلغل الإيراني في المجتمع السوري ٢٨

أ- مرحلة حُكم الرئيس السابق حافظ الأسد ٢٨

ب- مرحلة وصول بشار الأسد للسلطة ٢٠٠٠-٢٠١١ ٢٩

ج- مرحلة ما بعد الثورة السوريَّة عام ٢٠١١ ٣٠

٣) الهيمنة الإيرانِـيَّة على الاقتصاد السوري ٣٢

الفصل الثاني: معركة القُصير والتغيِـير الديموغرافي فيها

١) التغيير الديموغرافي في «سوريا المفيدة» ٣٩

٢) واقع القُصير وأهميّتها الاستراتيجيَّة ٤٢

٣) القُصير من الثورة إلى المعركة ٤٦

٤) معركة القُصير ٤٧

٥) «حزب الله» في القُصير ٤٩

أ- «حزب الله» في المعركة ٤٩

ب- التواجد الحاليُّ للحزب في القُصير ٥١

٦) التغيير الديموغرافي والطائـفي في منطقة القُصير ٥٣
٧) التغلغل الاجتماعي الإيراني في القُصير قبل المعركة وبعدها ٥٦
٨) منع مُهجَّري القُصير من العودة إليها ٥٨
٩) القبض على الملكيات والعقارات ٦١

الفصل الثالث: النشاط الاقتصادي في القُصير في ظل «حزب الله»

١) الواقع الاقتصادي بعد معركة القُصير ٧١
٢) اقتصاد «حزب الله» في القُصير ٧٢
أ- معابر التهريب ٧٢
ب- الحشيش زراعةً وتهريبًا ٧٤
ج- الكبتاغون تصنيعًا وتجارةً ٧٥
د- القُصير محطة لتهريب البشر ٧٧
هـ- القُصير مركز لتهريب المحروقات وأخواتها... ٧٩
٣) العين الروسيَّة على نشاط الحزب وإيران ٨٢

خاتمة **٨٩**
مصادر البحث ومراجعه **٩٥**
مصادر الصُّوَر ومراجعها ١٠١

مقدمة

تبنَّتِ السلطةُ السوريَّةُ مُقاربةَ العنف المُمنهَج لقمع الحراك الثوريِّ السوري منذُ اندلاع الاحتجاجات في آذار ٢٠١١. وبهدفِ تأمينِ قاعدةٍ شعبيَّةٍ مُواليةٍ تدعمُ النظامَ في مواجهةِ الاحتجاجاتِ المتنامية آنذاك، المُطالِبة بالإصلاح السياسي والتغيير الديموقراطي، لَعِبَ الخطابُ الرسمي السوري على ورقة المخاوف الطائفيَّة عبر وصفه للمعارضة السوريَّة الناشئة بكونها حراكٌ طائفي يُهدِّد الأقليات، فعَمِلَ على تطييفِ الصراعِ عبر تسليح الأقليات المحليَّة وتوفيرِ الدعم الأساسي من طرف حُلفائه الإقليميّين: إيران وحزب الله.[1] فقد كانت سوريا، لفترة طويلة من الزمن، وحتى الآن، الحليف الاستراتيجي الرئيسي لإيران، وكان لها دور أساسي في إمداد ودعم وكيله في لبنان «حزب الله».

أدى تطور الصراع في سوريا عشيَّةَ اندلاع احتجاجات ٢٠١١، إلى تبلور «مفهوم سوريا المفيدة»،[I] وتم تأطير هذه المرحلة كأداةٍ مِن

(I) في عام ٢٠١٥، طرحَ بشّار الأسد في إحدى مقابلاته مفهوم «سوريا المفيدة» حيث قال: «إنَّ الضرورات المَيدانيَّة تفرضُ التركيز على مناطقَ أكثر أهميَّة على حساب أخرى دونها قيمة» والمقصود جغرافيًّا بسوريا المفيدة هي المحافظات الست التالية: دمشق وريفها، حمص، حماه، اللاذقيَّة وطرطوس. من المهم التذكير بإجابة لقمان سليم خلال مقابلةٍ على قناة الجزيرة بتاريخ ٢٩ أيلول ٢٠١٥

جُملـةِ أدواتِ تحقيـقِ استراتيجيَّـة السُّلطة السـوريَّة وحلفائهـا، التي تسـعى للحفاظ علـى وجودهـا عبـر تأميـن «سـوريا المفيـدة». ارتكـزتْ هـذه الاسـتراتيجيَّةُ علـى السـيطرة علـى المـدن الكبـرى، لا سِـيَّما فـي وسـط سـوريا (حمـص ودمشـق) وإبعـاد المعارضـة المُسـلحة نحـو مناطق الشـمال السـوري.[٢]

ويمكـن تسـجيل بَـدء هـذه المرحلـة مـع حَملـة «حـزب اللـه» والجيـش السـوري علـى مدينـة القُصيـر فـي أيـار ٢٠١٣، التي هدَفتْ بشـكلٍ أساسـي إلـى قطـعِ خُطـوط الإمـداد عـن المعارضـة المسـلحة، وتطويـق مدينـة حمـص وإنهـاء المعارضـة فيهـا، بعـد فشـل المحـاولات المُتكررة للسـيطرة عليهـا.

اعتمـدت السـلطةُ السـوريَّة أسـلوبَ الاتفاقيـات المحليَّـة مـع المُـدن والأحيـاء المُحاصَـرة، لإجبـار السُّـكان المحليّيـن المعارضيـن علـى تـرك منازلهـم، والنـزوحِ منهـا إلـى المناطـق التـي تُسـيطر عليهـا المعارضـة.

حيث قال في حينه: «إنَّ مفهوم سوريا المفيدة لا يمكن أن يشرحَ خارج السؤال، المفيدة أولًا لمَن والمفيدة لماذا؟! نرى بأنَّها المنطقة التي تمتدُّ من الغرب الشمالي من سوريا أي من لبنان تقريبًا إلى لواء إسكندرون شمالًا، وهي منطقة تتمتع بتجانُسٍ طائفي ومذهبي أكثر من باقي المناطق». لمشاهدة المقابلة كاملة، مفهوم «سوريا المفيدة» وتطبيقاته، موقع **الجزيرة**، تاريخ الدخول: ١٠ كانون الثاني ٢٠٢٣، الساعة: ١٠:١٢.

وفي العام ٢٠١٦، مرَّر النظامُ اتفاقيات، مع مدينة داريّا، وأحياء الوعر في حمص، وأحياء شرق حلب، بعد أن عانتْ جميعُها من الحصار والقصف، بهدف نَقلِ السُّكان والمقاتلين إلى محافظة إدلب التي تُسيطر عليها عسكريًّا قواتُ المعارضة المسلحة وبشكلٍ أساسي «هيئة تحرير الشام».[٣] استُكمِل هذا السيناريو في العام ٢٠١٧، من خلال الاتفاقيَّة التي عُقِدَتْ بين الحركات الإسلاميَّة السوريَّة المُقاتلة المُتمثِّلة بـ«هيئة تحرير الشام» و«حركة أحرار الشام» من جهة، والجيش السوري وحزب الله والجانب الإيراني من جهة أخرى، والتي غطَّتْ أربعَ مُدنٍ مُحاصرة وأُطلِق عليها اتفاقُ «المدن الأربع»[I] ونصَّ على أنَّ حوالى ٣٨٠٠ شخص، بمَن فيهم مُقاتلي المعارضة، يمكنهم ترك مدينة الزبداني مضايا والتوجه نحو محافظة إدلب، في حين أنَّ ٨٠٠٠ شخص، بمن فيهم مُقاتلي الميليشيات المُوالية للنظام، يمكنهم تركُ مدينتَي كفريا والفوعة في ريف إدلب الشمالي للتوجُّهِ نحو حلب ومناطقَ أخرى يُسيطر عليها النظام.[٤] وقد هدفتْ هذه الصفقةُ إلى القضاء على آخرِ مراكز المعارضة النَّشِطَة في القلمون الغربي، وتأمين كاملِ الحدود اللبنانيَّة تقريبًا لمصلحة النظام السوري وحلفائه.[٥]

في نهاية نيسان ٢٠١٧، قامت دمشقُ بتَوطينِ بعض المقاتلين مع عائلاتهم، مِمَّن تركوا الفوعة وكفريا بناءً على اتفاق «المدن الأربع»، في القُصير، إحدى بلدات محافظة حمص. في حين تم تهجيرُ معظم القرى والبلدات حول القُصير، فيما تحولتِ البلدةُ بحَدِّ ذاتها إلى ثُكنات

(I) المقصود بالمدن الأربع هي مدينتي مضايا والزبداني في ريف دمشق، معظم سكانهما من السُّنة. ومدينتي كفريا والفوعة في ريف إدلب، معظم سكانهما من الشيعة. لمزيد من الاطلاع: انظر/ي: بدء تنفيذ اتفاق المدن الأربع، موقع **المدن**، نيسان ٢٠١٧، تاريخ الدخول: ٢٠ آذار ٢٠٢٣، الساعة: ١١:٤٢.

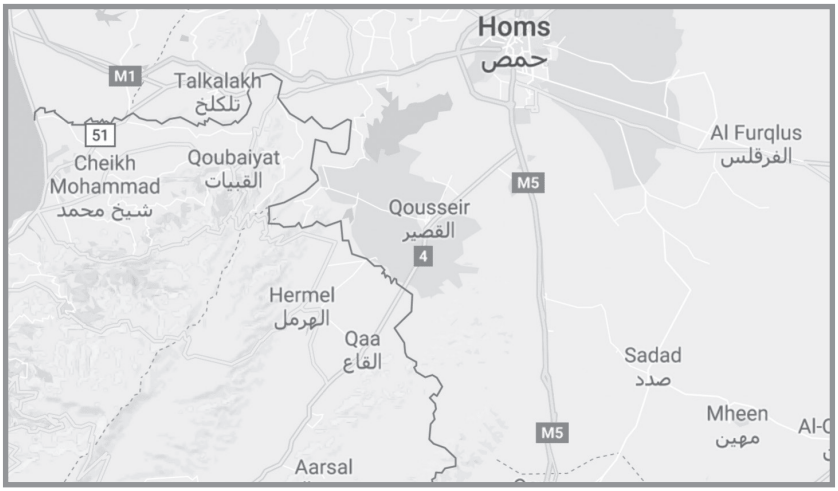

خريطة تظهر موقع منطقة القصير

ومراكز تدريبٍ عسكريَّة لمختلف الميليشيات الإسلاميَّة الشِّيعيَّة، بما فيها «قوات الرضا»، التي تمتلك نفوذًا وتأثيرًا، وهي ميليشيا شيعيَّة سوريَّة تم تأسيسها عام ٢٠١٤ بمُساعدةٍ من حزب الله.[٦]

بحسب دراسة قام بها الباحث خافيير غونزاليز واردة في كتاب Reclaiming Home فإن عددَ سُكان القُصير وضواحيها عام ٢٠١٤ بحوالى ١٣٨٠٠٠ نسمة، منهم ٧٧٠٠٠ نَزحوا عن المدينة، وحتى عام ٢٠١١ كان يعيش في المدينة ذاتِ الغالبيَّة السُّنيَّة وريفها العديدُ من المجتمعات الدّينيَّة.[٧] وبعد سيطرة القواتِ الحكوميَّة وحُلفائها على المدينة في حزيران ٢٠١٣، فَرَّ أنصارُ المعارضة إلى أجزاء أخرى من بلداتِ القلمون كانت تحت سيطرة قوات المُعارضة، في حين خرجَ قسمٌ كبير من الأهالي إلى لبنان. وقد فرضتِ السلطاتُ السوريَّةُ شروطًا مُتباينة للعودة، ففي حين سُمِحَ للأقليات الدّينيَّة بالعودة مباشرةً، فإنَّ الأُسَرَ السُّنيَّةَ رأتْ أنَّ وصولَها مُقيَّدٌ جدًّا وأنَّ عودتَها النهائيَّة محظورة. وحتى الآن يُواجه الرجال والشبان خَطرَ التعرضِ للاعتقالات

التعسُّـفِيَّة والملاحقـات الأمنيَّـة وطلـب الخدمـة العسـكريَّة، وقـد سُـمِحَ للنسـاء بالعـودة، ولكـن غيـابَ البيئـة الآمنـة مـا زال يجعل الحديـثَ عن أيِّ عـودةٍ طَوعيَّـةٍ وآمنـةٍ ومسـتقرة بعيـد المنـال، وهـذا يرتبط بشـكلٍ أساسـيٍّ بالهندسـة الديموغرافيَّـة وفـق رؤيـة القـوى المسـيطرة علـى المنطقـة.[٨]

كشـفتْ معركـةُ القُصيـر بوضـوحٍ توغُّـلَ حـزب اللـه فـي الأزمـة السـوريَّة، وانخراطَـه العسـكري فيهـا، وقـد أسـهمَ دخولـه المباشـر فـي العمليـات القِتاليَّـة فـي إذكاء الاسـتِقطاب الطائفـيِّ فـي سـوريا، وأضفـى علـى الصـراع بُعـدًا دينيًّـا ومذهبيًّـا.[٩] لعـبَ حـزبُ اللـه دورًا رئيسـيًّا في عدم إعـادة أهل المدينـة إليهـا، ويرتبـط ذلـك بشـكلٍ رئيسـي بأهميَّـة القُصير الاسـتراتيجيّة؛ كونهـا تَبعـدُ نحـو عشـرةِ كيلومتـراتٍ فقـط عـن العُقـدة التـي تتلاقـى فيهـا معظـمُ الطُّـرقِ الدوليَّـة البريَّـة داخـل سـوريا، وفـوق ذلـك تُهـدِّد مناطـقَ نفـوذ حـزب اللـه العسـكري والأمنـي فـي منطقـة الهرمـل. بالتالي، يخشـى الحـزبُ مـن تجـدد النشـاط المُعـارِض مـع عـودة أهالـي المنطقـة إلـى المدينـة التـي يريـد أن يُؤمِّـن مـن خلالهـا خطـوطَ إمـداده مـع لبنـان ودعـم نفـوذه العسـكري فـي سـوريا. وبحسـب الناشـط الإعلامـي المعارض أبـو الهـدى الحمصـي، بحسـب تقريـرٍ لموقـع عنـب بلـدي، فـإنَّ لحـزب اللـه وجـودًا قديمًـا فـي المنطقـة يتمثـلُ فـي السـوريّين الذيـن يَحمِلـون الجنسـيَّةَ اللبنانيَّـة، ويعيشـون فـي عـددٍ مـن قُـرى القُصيـر الواقعـة غربـي نهـر العاصـي، مثـل الديابيَّـة، والبرهانيَّـة، وسـفرجة، وحاويـك، والمصريَّـة، والعقربيَّـة، والصفصافـة، وزيتـا، الذيـن سـاندوا حملتَـه العسـكريَّة التـي شَـنَّها للسـيطرة علـى هـذه القـرى، وهـو يسـتولي عليهـا الآن اسـتيلاءً كامـلًا.[١٠]

تكـمن أهميَّـة هـذا البحث فـي أنَّـه، وبعد بعد مرور حوالى تسـع سـنواتٍ علـى سـيطرة القـوات النِّظاميَّـة السـوريَّة وحليفهـا «حـزب اللـه» علـى منطقـة القُصيـر، مـا زالـت الكلمةُ العليـا في المنطقـة لـ«حزب اللـه» الذي

يعملُ ضمن الاستراتيجيَّة الكبرى لحليفه الإيراني في سوريا، وتتمتعُ القْصير فيها بأهميَّةٍ خاصةٍ بحُكم موقعها الجغرافي المتميز، كما أنَّه يَستثمِرُ سيطرتَه في المناطقِ الحُدوديَّة مع لبنانَ لدعمِ اقتصاده عبر التهريب. ومازال يُعرقِلُ عودةَ اللاجئين السوريّين بشكلٍ آمنٍ ومُستقرٍّ إلى مدينة القْصير وريفها، فإلى جانب سياسات السلطة السوريَّة التي تُعيق عودةَ اللاجئين من خلال استمرار النهج الأمني المُتمثِّل في الاعتقالات التعسُّفِيَّة والسّوق للخدمة العسكريَّة، فضلًا عن السيطرة على الممتلكات والأراضي والهَشاشة الاقتصاديَّة ونقص الخدمات، فإنَّ لِلقْصير خصوصيَّة كبيرة تجعل العودةَ إليها تخضعُ لحساباتٍ مُعقَّدة ترتبط بشكلٍ أساسيٍّ بعمليَّة التغيير الديموغرافي. ومن هنا، فإنَّ الإشكاليَّةَ الرئيسيَّة لهذا البحث تَكمنُ في الإجابة عن سؤال: ما هو تأثير السياسات التي يَتبعُها «حزب الله» في إحكام سيطرته على منطقة القْصير في ضوء الاستراتيجيَّة الإيرانيَّة في سوريا؟ والإجابة على هذا السؤال الرئيسي تتطلبُ الإجابة على جملةٍ من الأسئلة المتفرعة عنه:

- ما الأهميَّة السياسيَّة والاقتصاديَّة والأمنيَّة لمنطقة القْصير؟

- ما هي التغيرات التي طرأتْ على أنماطِ الاقتصاد المحليِّ في القْصير؟

- من هي الأطرافُ الفاعلةُ التي تُسيطر فِعليًّا على القْصير (أمنيًّا، عسكريًّا، اقتصاديًّا)؟

- ما مدى نجاح سياسة التغيير الديموغرافي التي يَتبعها «حزب الله» للسيطرة على القْصير؟

- كيف تتسق هذه السياسة مع سياسة إيران في تعزيز نفوذها في سوريا؟

- ماهـي حـدود التنافـس والتوافـق بيـن القُـوَى الفاعلـة فـي سـوريا حـول منطقـة القْصيـر؟

أمّـا عـن مَنهجيَّـة هـذا البحـث، فإنَّـه سـيَعتمدُ علـى منهـجٍ تاريخـي يـدرس التغيُّـرَ الـذي طـرأَ علـى التركيبـة السـكانيَّة فـي منطقـة القْصيـر والتغيـر فـي مرتكـزاتِ الاقتصـاد المحلـي. إلـى جانـب منهـجٍ استِـقرائي يهـدف إلـى فَهـمِ النهـج الـذي يَتبعُـه «حـزب اللـه» لتَعزيـز سـيطرته علـى منطقـة القْصيـر، وموقـع هـذا النهـج فـي الاسـتراتيجيَّة الإيرانيَّـة فـي سـوريا، والوقـوف علـى موقـفِ السُّـلطات السـوريَّة وحليفهـا الروسـي مـن هـذه الاسـتراتيجيَّة؛ مـن خـلال دراسـة التقاريـر والأبحـاث السـابقة، والمعلومـات المنشـورة فـي وسـائل الإعـلام والمواقـع الإلكترونيَّـة.

كمـا سـتعتمد الدراسـةُ علـى مجموعـةٍ مـن المقابـلات الفرديَّـة، بهـدف الربـط بيـن نتائـج تحليـل المقابـلات، ومُقابلـتها مـع نتائـج تحليـل المعلومـات التـي تـمَّ جمعُهـا مـن المراجعـات النظريَّـة. وسـيتم تنفيذهـا ضمـن مسـتويَين أساسِـيَّين:

- المسـتوى الأول: اللاجئيـن والعائديـن والنازحيـن مـن منطقـة القْصيـر؛ للوقـوف علـى الأوضـاع الاقتصاديَّـة والاجتماعيَّـة وأهـم التحديـات التـي تمنـعُ عودتَهـم إلـى مناطقهـم، ربطًـا بسياسـات القُـوى المسـيطرة فـي القْصيـر.

- المسـتوى الثانـي: ناشـطين، رجـال دين، وُجَهـاء، موظفي بلديَّـة، مأموري نفـوس، مخاتيـر؛ لفَهـم حقيقـة سياسـات التغييـر الديموغرافـي وكيفيَّـة تَطبيقهـا ومـدى تأثيرهـا، والتغييـر فـي التـوزع الديموغرافـي فـي القْصيـر.

الهوامش

(١) خافيير غونزالز، الأرض والسكن والاحتلال والتدمير في مناطق استراتيجيَّة: حالة القُصير في سورية، موقع **مركز حرمون**، ٣٠ تموز ٢٠٢٠، من مجلّد **استعادة المنزل**، مؤسّسة فريدريش إيبرت، ٢٠١٩، تاريخ الدخول: ٢١ شباط ٢٠٢٣، الساعة: ١٨:٢٥؛ والدراسة المترجمة هي الفصل الرابع من كتاب Reclaiming Home وهو عبارة عن مجموعة من الدراسات وقد صدر برعاية مؤسسة فريدريش ايبرت الألمانية.

(٢) فادي عادلة وأنييس فافييه، اتفاقيات المصالحة المحليَّة في سوريا: سلام مُجهض منذ البداية، تقرير بحثي، موقع **معهد الجامعة الأوروبيَّة**، حزيران ٢٠١٧. تاريخ الدخول: ١١ آذار ٢٠٢٣، الساعة: ٩:٢٥.

(٣) استراتيجيات التغيير الديمغرافي في سورية، موقع **الجزيرة**، ١ حزيران ٢٠١٧، تاريخ الدخول: ١٣ كانون الثاني ٢٠٢٣، الساعة: ١٢:٢٠.

(٤) Shobassi, Mays, Timeline: Syria's 12 "people evacuation" deals, **al-Jazeera English**, 16 May 2017, entry date: 26 February 2023, entry hour: 8:10.

(٥) قراءة في اتفاقيَّة المدن الأربع وأهميته بالنسبة لإيران، موقع **أورينت**، ٢٥ نيسان ٢٠١٧، تاريخ الدخول: ١١ شباط ٢٠٢٣، الساعة: ١٠:٠٠.

(٦) Zaman al-Wasl, "Militiamen of Shiite Villages Resettled in Qusayr Town: Source", **The Syrian Observer**, 27 April 2017, entry date: 6 March 2023, entry hour: 9:15.

(٧) خافيير غونزالز، الأرض والسكن والاحتلال والتدمير في مناطق استراتيجيَّة: حالة القُصير في سورية، مصدر سابق.

(٨) مقابلات ميدانيَّة أجراها فريق «جمعية نون» البحثي مع لاجئين سوريّين في لبنان يتحدرون من مناطق القُصير.

(٩) معركة القُصير التداعيات والآثار، موقع **المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات**، ٢٣ أيار ٢٠١٣، تاريخ الدخول: ١٠ آذار ٢٠٢٣، الساعة: ١٦:١٠.

(١٠) نينار خليفة، القُصير في ظل هيمنة حزب الله تغير في واقع الملكيات العقاريَّة، موقع **عنب بلدي**، ١٠ أيلول ٢٠٢٠، تاريخ الدخول: ٣١ كانون الثاني ٢٠٢٢، الساعة: ١٤:٢٣.

خاتمة

تَدخَّـل «حـزبُ اللـه» فِعليًّـا فـي وقـتٍ مُبكـر مـن الحـرب السـوريَّة، وتحديـدًا فـي خريـف عـام ٢٠١١؛ مُتـذرعًا بالهجمـات المتطرفـة علـى الشِّـيعة السـوريّين، واتخـذَ تدخلُـه أشـكالًا مختلفـة مـن الدعـم التقنـي والعسـكري والبشـري. فـي الواقـع، كان هـذا التدخـلُ مُنسـجِمًا مـع الاسـتراتيجيَّة الإيرانيَّـة فـي سـوريا مـن جهـة، والارتبـاط الوجـودي بيـن مصيـر الحـزب والنظـام السـوري مـن جهـة. غيـر أن التدخـلَ العسـكري المباشـر كان فـي ربيـع ٢٠١٣ عبـر تدخلـه لحَسـمِ معركـة القُصيـر لصالـح النظـام السـوري، مدفوعًـا بجملـة مـن الأسـباب الاسـتراتيجيَّة: الأول، يتعلـق فـي المقاربـة التـي تَنـدرِجُ ضمـن الاسـتراتيجيَّة الكبـرى للمحـور الإيرانـي فـي تثبيـت النظـام السـوري، وبمـا تتمتـع بـه القُصيـر مـن أهميَّـةٍ عسـكريَّة لحَسـمِ معركـة حمـص. والثانـي، يرتبـط مباشـرةً بمصالـح «حـزب اللـه» وأمنـه القومـي، وتأميـن الحـدود الغربيَّـة لريـف دمشـق وحمـص. واسـتخدمَ «حـزب اللـه» الروابـطَ العشـائريَّة العميقـة التـي تُوحِّـد الشِّـيعة علـى جانبـي الحـدود بيـن البلدَيـن، لحَشـدِ حاضنتـه الشـعبيَّة نحـو خـوضِ حـربٍ طويلـةِ الأمـد ولـتَبرير حجـم الخسـائر الكبيـرة التـي سـتترتبُ فيمـا بعـد علـى تورطـه فـي الصِّـراع المسـلح علـى طـول خـط الأزمـة السـوريَّة.

تحولت القْصير بعد السيطرة الكاملة لـ«حزب الله» إلى معبرٍ حدوديٍّ مفتوحٍ لعمليات التهريب المختلفة ومصدرٍ ربحيٍّ لكُلٍّ من الحزب والنظام السوري. وقد شملَتْ عملياتُ التهريب فيها كل شيء، ابتداءً بأنواع الأسلحة المختلفة، والمحروقات من مادتي البنزين والمازوت والغاز المنزلي، إلى الخضار والفواكه وأثاث المنازل، وانتهاءً بالمخدرات والدخان. وباتت القْصير بابًا مفتوحًا على مصراعَيه، ولكن تحت تنظيم عالٍ وكبير. فلم يعد التهريبُ التقليدي موجودًا وبات الحزب بالتنسيق مع «الفرقة الرابعة» يدخل ويخرج بأرتالٍ كبيرة. كما حَوَّلَ «حزب الله» و«الفرقة الرابعة» القْصير، لا سِيَّما مناطق غرب العاصي، إلى مقاطعةٍ خاصة به لإنتاج وتهريب الحشيش، الذي يتم شحنُه لاحقًا إلى لبنان لمعالجته، من ثمَّ العمل على تصديره نحو بلدانٍ متفرقة، فضلًا عن إغراق السوق السوريَّة بالمخدرات والحشيش على حَدٍّ سواء. وعليه، نجد أن مدينةَ القْصير تُشكِّل حلقةَ وصلٍ لطُرق تهريب الحشيش والمخدرات في سوريا، من القْصير شمالًا نحو الموانئ السوريَّة، ومن القْصير جنوبًا نحو المنطقة الجنوبيَّة فالأردن والسعوديَّة.

ونظرًا لأهميَّة منطقة القْصير العسكريَّة والاقتصاديَّة والأمنيَّة بالنسبة لـ«حزب الله»، والأهميَّة الاستراتيجيَّة في تأمين خطوط الإمداد ضمن طريقٍ استراتيجيٍّ يربطُ بين الحدود العراقيَّة واللبنانيَّة، والتي تسعى إيران لتأمينه بالتعاون مع «حزب الله»، استخدمَ هذا الأخيرُ سياساتٍ مُمنهَجة للتغيير الديموغرافي تضمنُ إحكامَ قبضته على منطقة القْصير، تَجلَّتْ في عمليّات التهجير المَدروسة من قِبل «حزب الله» بحَقِّ الأهالي والتي بدأَتْ ملامحُها بالظهور بعد فترةٍ وجيزة من سيطرته في القرى ذات الخليط الشيعي ـ السُّني، ومنع عودة اللاجئين السوريّين واستغلال غياب أهالي القْصير عن

مدينتهم، والظروف الصعبة التي يعيشونها بسبب نزوحهم ولجوئهم، للاستيلاء على أراضيهم ومحاولة شرائها. فضلًا عن التغلغل الاجتماعي في المنطقة لإحداث تَغيِيرٍ ديموغرافي فيها.

وعمل التمويلُ والجهدُ الدعويُّ الكبيران والإغراءاتُ الماديَّة والمعنويَّة على تشييع أهالي القصير من كافة الشرائح والفئات وبشكلٍ خاصٍّ السُّنة، وكان لـ«حزب الله» دورٌ مهمٌّ في هذه السياسات؛ إلا أنها كانت ضمن الاستراتيجيَّة الإيرانيَّة للتغلغل الاجتماعي في سوريا، التي تصاعدت مع تَولِّي بشار الأسد للسلطة، عبر حملات تَشيُّعٍ منظمة، قادتها آنذاك السفارة الإيرانيَّة في دمشق ومُلحقِيتها الثقافيَّة في حلب.

استغلَّتْ إيران ووكلاؤها في سوريا الأزمةَ الاقتصاديَّة والاجتماعيَّة الحادَّة في ٢٠١١، لتَرسيخ مكانتها عبر التغلغل الاجتماعي وزيادة عدد الشِّيعة في سوريا، بما يُحقِّق أمرَين: الأول، بحيث يكون التشيع بمثابة طليعة الفكر الإيراني في سوريا. والثاني، وجود عددٍ كبير من الشِّيعة في سوريا سيُوفِّر لإيران ذريعةً مستمرة للتدخل. إن محاولةَ إيران لزيادة عدد الشِّيعة تنبعُ من أن النسبةَ المئويَّة للطائفة الشِّيعيَّة في سوريا هي حوالى ١٪ (ليس كحال الطائفة في كُلٍّ من العراق واليمن ولبنان) وهذه النسبة من غير المُمكن أن تؤثر في التغيير الديموغرافي.

عمل حزبُ الله، ومنذ عام ٢٠١٣ بعد أن أصبحتْ له الكلمةُ العليا في القصير، على تطبيق سياسات التغيير الديموغرافي. وصار بدُخول بعض العائلات في القصير في المذهب الشيعي وتَغيير اسم عائلاتهم؛ وذلك بسبب رغبتهم في الحُصول على التسهيلات التي تَمنحُها لهم البطاقات الحزبيَّة، إنْ على سبيل الحصول على المساعدات أو البطاقات التموينيَّة والحسومات على المشتريات، أو

على سبيل إمكانيَّة الذهاب إلى القصير والعودة من دون قيود.

إن عمليَّةَ التغيير الديموغرافي ضمن منطقة القُصير بدأت فِعليًّا بعد ٢٠١٣، وهي وإن كانت تأتي مُنسجمةً مع الاستراتيجيَّة الإيرانيَّة في سوريا للهيمنة على القرار السوري وتثبيت وجودها على المدى البعيد فيها، وبصرف النظر عن التغيرات السياسيَّة عبر ترسيخ وجودها الاجتماعي والاقتصادي والعسكري، إلا أنها تأتي ضمن استراتيجيَّةٍ خاصة يعملُ عليها الحزبُ لضمان أمنه القومي، والذي يأتي في مخططٍ استراتيجيٍّ للسيطرة العسكريَّة والأمنيَّة على المناطق الغربيَّة في ريف دمشق وحمص والمتداخلة مع معاقله في لبنان، بما يُوفِّر له خطوط الإمداد والسيطرة على المعابر واقتصاد التهريب لتَمويل نشاطه، وتأمين وجوده بعيدًا عن أيِّ متغيراتٍ إقليميَّة.

وبالتالي، فإن القُصير تتمتعُ بأهميَّةٍ خاصةٍ في هذا المشروع بحُكم موقعها الجغرافي وتركيبتها الديموغرافيَّة وقدرة «حزب الله» على التغلغل الاجتماعي فيها بحُكم سيطرته على المنطقة، بخلاف الاستراتيجيَّة الإيرانيَّة الأشمل التي تُركِّز على التغيير الديموغرافي في مراكز المدن الكبرى بما تُشكِّله من ثِقلٍ ديموغرافي على المستوى البعيد، لا سيما دمشق وحلب ودير الزور. وإن كانت هذه العملياتُ ورغم التغيرات الكبيرة التي يتم الحديثُ عنها في التوزع الطائفي، إلا أنها ما زالت تندرجُ تحت نطاقِ التشيع السياسي، الذي تلعب الأوضاعُ الاقتصاديَّة والأمنيَّة في سرعة انتشاره، والذي يحتاج إلى استمرار الظروف الحاليَّة لفتراتٍ طويلة لترسيخه على المستوى العقائدي.